٣ - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية

هذا الكتاب من كتب التراث التى ألفها الشيوخ المغاربة ، وأثروا بها - فى حينها - دنيا العلم والأدب ·

والى الآن لا زلنا نستمد منها ونأخذ عنهـــا متأثرين بها ومتفاعلين معها ونحن نبنى كياننا الفكرى ، سواء بالقراءة والدرس ، أو بالكتـــابة والتأليف ·

وأجدنى مشدودا جدا الى التراث المغربى ، لست أدرى لماذا ؟
هل هى المعايشة للمغاربة ومؤاخاتهم ؟
أم أن المسألة نفسية بحتة ؟

ذلك أننا ربينا وعلمنا حتى حصلنا على أعلى الدرجات العلمية ، ومع ذلك لم يعترض طريقنا أو لم يرد لنا أن يعترض طريقنا رافد مغربى ذو بال ·

فدرجنا ونحن نجهل الأفق المغربى وتراثه ·

وترتب على ذلك أننا نشأنا بل كبرنا دون أن نتوقع من اخوتنا المغاربة شيئا أى شىء ·

***

حتى اذا أراد الله لنا الاتصال بهم . والانتقال اليهم ومشاركتهم فى اكتشاف ذواتهم ، ونفض غبار التاريخ عن أمجادهم ، أخذنا بما عندهم من علم وأدب ، ومن علماء وأدباء ، وكان احساسنا بذلك صدمة لنـــا وتأنيبا لضمائرنا على ما كان منا من قصور فى حق أنفسنا وتقصير فى حق اخوة لنا يحبوننا وينظرون الينا على أننا مطلع الاشراق لعروبتهم وأصحاب الفضل فى حمل أمانة اللغة والاسلام اليهم ·

ولم نكن ندرى أن المغرب العربى حافل بكنوز من المعرفة تكفيهموتكفينا معهم لو اقتصرنا عليها ·

فما الظن بنا لو أننا - مشارقة ومغاربة - تداولنا ما عندنا ،وتبادلنا

المنافع فيما بيننا ، فكمل بعضنا بعضا ، وأعطى كل منا لأخيه ما لديه نظير أن يأخذ منه ما عنده ، وهما عطاء وأخذ لا يترتب عليهما فقد أو ما يشبه الفقد ، بل على العكس يترتب عليهما الوجد والزيادة ؛ فمن المسلم به أن شيئا لا يزاد فيه بالأخذ منه الا العلم · والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ·

***

والآن مع هذا السفر القيم :

[**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية**] :

وهو مما ألفه قاضى قضاة بجاية وعين أعيانها ومقدمها فى محافلها وسفيرها فى مهامها ابن بجدتها **أبو العباس أحمد بن أحمد الغبرينى** على اختلاف فى اسم أبيه : هل هو أحمد ـ كما هو الراجح ـ **أو محمد** ·

***

والكتاب من تحقيق العالم الأديب رابح بونار ، ومن مطبوعات **الشركة الوطنية** للنشر والتوزيع بالجزائر سنة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م ·

وسأوزع هذه الدراسة عنه على النقاط الآتية ·

(ا) **بجاية** ·
(ب) **المؤلف** ·
(جـ) **الكتـــاب** ·

أما الأخ المحقق فقد كنت أظن أنه سهل مهمتى ويسرها لى بما قدم به بين يدى التحقيق الثالث للكتاب ·

أحل فقد حققه قبله المغفور له الأستاذ الدكتـور محمد بن أبى شنب طيب الله ثراه ·

وحققه قبله أو معه الأستاذ عادل نويهض ·

لكن النسخة الأم لهذه الدراسة هى النسخة المحققة من قبل الأستاذ

الفاضل رابح بونار : ومعنى أنها النسخة الأم أن النسخة التى حققهـــا الأستاذ الفاضل عادل نويهض معى وتحت يدى . وهى مطبوعة فى بيروت سنة ١٩٦٩ م ٠

***

أعود فأقول : كنت أظن أن الأستـــاذ رابح بونار قد سهـــل مهمتى ويسرها لى ٠

لكن ها أننذا أقرر أنه قد جعل مهمتى صعبة ، بتقديمه القيم للكتـاب وبتعريفه الوافى به ٠

اذ ماذا أقول بعده ؟

ومع هذا فالحمد لله ، لقد استنرت بما كتب ـ وهو كثير ـ فى الاحاطة بالكتاب ومعرفة دروبه ومسار به ٠

***

وليكن واضحـــا أن ما أكتبه هنا ليس له من غرض سوى التعريف بالتراث المغربى ، دلالة عليه ، وتشويقا اليه ، واغراء به ٠

وكل ما أرجوه أن يقرأه أولئك الغافون الغافلون عما للمغرب العربى من التراث الأدبى ٠

***

بجـــاية

[بجاية] كما يسميها العرب ·

يقول ابن خلدون : ان موقع بجاية كان قرية تسكنها قبيـــلة بربرية تسمى بجـــاية أو [نقاية] فأطلق هذا الاسم على المدينـــة وسميت به على عادة البربر فى اطلاق اسم أول قبيلة تنزل بموقع ما على ذلك الموقع ·
و [بوجى] بالنطق الفرنسى أى الشمعة ·

وربما كانت هذه التسمية آتية من شهرة بجاية بصنع الشمع والاتجار فيـــه ·

***

و [الناصرية] كما جاء فى شعر جيد لحسن بن فكون القسنطينى قال :

دع العـــراق وبغـــداداً وشامهما ... فالناصرية ما ان مثلهـــــا بلد
ان تنظـــر البر فالأزهار يانعـــة ... أو تنظر البحر فالأمواج تطـــرد
يا طالبا وصفها ان كنت ذا نصف ... قل:جنة الخلد فيها الأهل والولد

وقد صدق ابن فكون ·

فبجاية مدينة جميلة تقع على شاطىء البحر الأبيض فيما كان يعرف قديما بالمغرب الأوسط ، وهى تبعد عن قسنطينة بمقدار ٢٢٧ ك٠م ٠ الى الشمال الغربى وعن الجزائر العاصمة بنحو ٢٨٥ ك٠م ·

وموقعها الجغرافى على خط طول ٩٠ر٥ شرقى خط جرينتش ، وخط عرض ٤٩ر٣٦ شماليه ·

***

و [الناصرية] نسبة الى الناصر بن علناس رابع ملوك بنى حمـــاد الصنهاجيين وقد شرع فى بنائها سنة ٤٦٠ هـ . ولما أتمها انتقل اليها ، لكنه لم يقم فيها بصفة نهائية ، بل كان يتردد عليها وعلى القلعة ·

وفى سنه ٤٨٣ هـ ١٠٩١ م انتقل المنصور ابنه اليها نهائيا ٠

ومن ذلك الوقت صارت عاصمة الحماديين ، ومن اهم مدن المغرب ٠

وما ظنك بمدينه بناها الناصر وابدع فيها قصر اللؤلؤة ؟!!

وشيد بها المنصور قصر أميمون ومسجدا كبيرا تزينه منارة عالية وواجهة بها سبع عشرة باكية . أما المياه فقد جلبها لها من الجبال المحيطة بها بواسطة القناطر المعلقة ٠

وما زال الحماديون ببجاية حتى صارت مكونة من سبعة عشر حيا تضم عشرين ألف بيت واثنين وسبعين مسجدا ٠

وقد أشاد المؤرخون فى العصر الحمادى [٤٠٥ - ٦٤٦ هـ] وفى العصرين الموحدى والحفصى [٦٤٧ - ٩١٠ هـ] بحضارتها وعظمتها ٠

جاء فى دائرة المعارف للبستانى أن [الناصرية] وهو الاسم الذى أطلقه الناصر على بجاية لما تم بناؤها قصدها الناس برا وبحرا ٠

وفى القرن السادس نجد الشريف الادريسى يصفها بأنها قاعدة بنى حماد بدل القلعة ، ومن كلامه عنها هذه النبذة قال :

بجاية فى وقتنا هذا (٥٤٨ هـ) مدينة المغرب الأوسط ، وعين بلاد بنى حماد ، السفن اليها مقلعة وبها القوافل منحطة ، والأمتعة اليها برا وبحرا مجلوبة ، والبضائع نافقة ، وأهلها مياسير يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق ، وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال القنطرة ، ولها بواد ومزارع ، والحنطة والشعير بها موجودان كثيران ، والتين وسائر الفواكه بها منها ما يكفى لكثير من البلاد ، أما الصناعات فان بها منها ما ليس بكثير من المدن ٠

***

وقد كانت بجاية - على عهد الغبرينى والى ما بعده بأكثر من قرنين - بيئة علمية نشطة ، وكعبة يقصدها طلاب العلم والأدب ، بل يقصدها العلماء والأدباء من بلاد الأندلس غربا الى بلاد فارس شرقا ٠

وبحسبها علماؤها الذين ترجم ! عنوان الدراية ! لهم وعددهم عشرة ومائة ويمكن القول لهذا بأنها كانت العاصمة العلمية للمغرب الكبير بعامة للمغرب الأوسط وهو الجمهورية الجزائرية الحالية بخاصة ٠

***

هذا عن بجاية قديما ٠

أما بجاية حديثا ، فقد زرتها يوم ١٩٧٢/٤/٣٠ وشاهدت فيها قصر اللؤلؤة الذى بناه الناصر . وقد كان أحد عجائب الدنيا ، وهى تشبه مدينة بورسعيد المصرية فى موقعهـــا على البحر الابيض المتوسط وفى تحضرها . والقلعة التى تحيط بها تشبه قلعة صلاح الدين فى تحصينها وعلوها ، فيها قصر العروسين الذى بناه الناصر ، ويطل على القلعة وبجاية معا أعلى منار فى العالم وهو المنار الذى بناه المنصور بن الناصر ٠

وفى هذا الخضم الحافل بالآثار التاريخية توجد عين سلام وهى عين بالوادى المعروف بوادى جراوه من نواحى القلعة ٠

***

المؤلف :

هو أحمد بن أحمد بن عبد الله · **كنيته** أبو **العباس** . **ولقبه الغبريني** نسبة الى أسرته [بني غبرين] وهي بطن من قبائل الأمازيغ · كانت تقطن **بضواحي [اعزازقه] في أعلى وادي [سباو] بالقرب من بجاية ، وقيل :** بل في بجاية نفسها ·

ولد سنة ٦٤٤ هـ ·

ومات مقتولا في سجنه سنة ٧٠٤ هـ كما قرر الأستاذ رابح بونار وهو القول الراجح ·

أو سنة ٧١٤ هـ بالطاعون في بجاية ، ويؤكد هذا الأستـــاذ عادل نويهض ·

***

حفظ القرآن الكريم . وعني بقراءاته ورسمه في صغره ، ولما شب عن الطوق درس التصوف والفقه والأصول والتفسير والحديث والتاريخ والمنطق وعلوم اللغة والأدب ·

وبعد أن تقدم في دراسته أخذ يحضر الحلقات العلمية التي كانت تعقد بالمساجد الكبيرة كالمسجد الأعظم ببجاية وكجامع الزيتونة بتونس ·
جاء في برنامجه أنه درس علوم الدراية وعلوم الرواية :

والأولى تحتاج الى أعمال الفكر والنظر والاستنباط ·

أما الثانية فلا تحتاج الا الى السماع والحفظ ·

كما جاء فيه أن طرق التدريس ببجاية على عهده كانت تختلف من شيخ الى آخر فمنهم من كان يسلك الطريقة التقليدية وهي الطريقة الالقائية، ومنهم من كان تعويله على الحوار والمناقشة ، والتعمق في البحث والتعليل·

وقد أفاد الغبريني من الطريقتين في تكوينه الفكري ، ولو أننا نراه في كتابه الى الرواية أقرب منه الى الدراية . ومن التسليم بما يسمع أو يقرأ أقرب منه الى فحصه ونقده لقبوله أو رده ·

فقد كان يؤمن بالكرامات ويعنف على من يعمل فيها عقله ٠

ذكر فى ترجمته لابى عبد الله العربى ص ٨٠ ان هذا الشيخ المبارك الصالح كان يحج من بجاية فى بعض العشر من ذى الحجه ٠

ولكى نصدقه فى ذلك يذكر ان جفنا وصل من ناحيه الشام الى بجايه وكان أبو عبد الله واقفا بحومة باب البحر فراه النصرانى صاحب الجفن وقال له : يا سيدى ٠ مزودت الذى دفعته لى بالشام منذ ثمانيه أيام وحلف على ذلك ٠

ثم يستطرد : ولما كان عام الاركش [الأراك] احتزم فى يوم من الايام وركب قصبة ومسك قصبة أخرى فى يده عوضا عن مزراق ، وجعل يكر ويفر وهو يتقصد عرقا الى أن رمى بالقصبة من يده ضاربا فى جهة عدوه وقائلا عند رميها « فى سبيل الله » ٠

وسقط على الأرض من شدة جهده ومبلغ كده،فأرخ ذلك الوقتمناليوم فكان هو اليوم الذى هزم الله فيه النصارى وهو يوم الأربعاء التاسع لشعبان الحرام عام ٥٩١ هـ ٠

يقول الغبرينى « فكان رضى الله عنه فى جملة المجاهدين ذلك اليوم وممن أعان الله به المسلمين وأوقع الهزيمة على يده » ٠

والمهم فى هذا الخبر تعليق الغبرينى عليه بما سبق ، وبقوله بعده :

« وقد يقع فى هذا الانكار من ملحد لا علم له ، وحقه الاعراض عنه وعدم الالتفات اليه ، وان زاد فيصفع على وجهه عوضا عن قفاه » ٠
ص ٨١

***

الى هذا الحد كان الغبرينى يصدق أمثال هذه الحكايات ، وكتابهحافل بالكثير منها ، يرويها على أنها حقائق مسلمة لا تخضع للمناقشة ٠

فقد كان ساذجا اذن ٠

والعجب أنه لما ولى القضاء بدا « مهيبا ذا معرفة بأصول الفقه وحفظ

فروعه وقيام على الذرائع وتحقيق للمسائل » كما يقول أبو الحسن النبهانى بحق فى كتابه « قضاة الأندلس ص ١٣٢ » ٠

فقد كان الغبرينى وهو قاض يتشدد فى التزام الأحكام الشرعية وينكر على من يخالفها من أدعياء التصوف ، ويرى أن نفيهم - لذلك - من البلد قليل ، وانما الواجب أن يعاملوا بأسوأ التمثيل ويقول :

« هؤلاء جملة أغبياء : لا علم ولا عمل ، ولا تصوف ولا فهم ، وهم مع ذلك يجهلون الناس ، ويعتقدون أن مبناهم على أساس » ٠

لكن لا عجب ؛ فهو التذبذب بين الرواية والدراية ، والتردد بين المنقول والمعقول ، وكل اناء بما فيه ينضح ٠

***

الكتـــاب :

بعد أن تكلمنا عن بجايه وعن المؤلف ـ المسرح والبطل ـ نتكلم عن الكتاب نفسه ، وسنتناوله من هذه النواحى :

(ا) غرضه وموضوعه ٠

(ب) عرضه وتحليله ٠

بتصنيف المترجم لهم فيه حسبما غلب على كل صنف منهم من علم ، ونوع هذا العلم ، أو أدب ، ونوع ذلك الأدب ، أو تصوف ، وهل هو تصوف سنى أو فلسفى ٠

وأيضا تصنيفهم بالنظر الى زمنهم ،ومنخلالهمسنتعرف على مشيخة الغبرينى التى كانت هى السبب المباشر فى تأليف هذا السفر القيم ٠

أجل . فقد عرف المغرب . وكذلك المشرق هذا النوع من التأليف تحت اسم الثبت أو البرنامج أو المشيخة ٠

يترجمون فيه لأساتذتهم بتحديد أعمارهم وتوضيح مسارهم فى حياتهم وفى دروسهم ، والعلوم التى تلقوها عنهم ، والكتب التى قرأوها عليهـــم ويذكرون انتاجهم الذى أنتجوه وما اشتهروا به بين ذويهم وغيرهم ٠

***

واذا كان للأستاذ ـ بدوره ـ مشيخـة ذكروها وعرفوا بها ، ولربما تعقبوه فى تلاميذه الذين أسهم بقدر كبير فى تكوينهم حتى صاروا امتدادا له ، وعنوانا عليه ، وطلابا نابهين فى مدرسته ٠
ونختم هذه الدراسة بكلمة موجزة عن : ـ

٣ ـ أسلوب الكتاب ومنهج صاحبه فى تأليفه ٠

- ١ -

غرض الكتاب وموضوعه

أفصح المؤلف عن غرض الكتاب وموضوعه بقوله فى مقدمته : -

أما بعد : فانه لما كان طلب العلم اللدنى (الدينى) فرضا على الكفاية ، ومتعينا فى الحال ، ولم يكن بد فى تحصيله من تلقيه عن الرجال وكان التلقى اما مباشرة أو عن سند ذى اتصال ، وكان العلماء بذكر معرفته ، والسند عنه لا بد أن تعرف صفته ؛ فلذلك اهتم العلماء بذكر الرجال ، واستعملوا فى تمييز أحوالهم الفكر والبال ، ليبينوا سبيل التحمل ، ويبينوا وسيلة التوصل ، وقد اختلفت فى ذلك مصادرهم ومواردهم ، وان اتفقت فى بعض الوجوه مقاصدهم :

فمنهم من ذكر التجريح والتعديل فى المحدثين ٠
ومنهم من ذكر من يعرف بالحفظ والاتقان من المتقدمين ٠
ومنهم من اقتصر على ذكر العلماء المجتهدين ٠
ومنهم من ذكر المؤلفين والمصنفين ٠
ومنهم من ذكر الصلحاء والمتعبدين ٠
ومنهم من ذكر علماء وقته ٠
ومنهم من اقتصر على ذكر مشيخته ٠
وكل ذلك يحصل الافادة ، ويسهل للطالب مراده ٠

رأيت أن أذكر فى هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية فى هذه المائة السابعة التى نحن فى بقية العشر الذى هو خاتمتها ، أذكر منهم من اشتهر ذكره ، ونبل قدره ، وظهرت جلالته وعرفت مرتبته فى العلم ومكانته »

***

الى هنا والغرض واضح والموضوع محدد ٠

لكن المؤلف رحمه الله قد رجع الى الوراء قليلا ليصل نهاية القرن السادس ببداية القرن السابع ، ها هو ذا يقول : -

« وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المائة ذكر الشيخ أبى مدين

والشيخ أبى على المسيلى ، والفقيه أبى محمد عبد الحق الاشبيلى رحمهم الله ورضى عنهم ، لقرب عهدهم بهذه المائة ، لأنهم كانوا فى أعقاب السادسة للتبرك بذكرهم ، ولانتشار فخرهم » .

ولم يقتصر الغبرينى على الثلاثة الذين ذكرهم بل أتبعهم بأربعة غيرهم سنعرض لهم .

وقد بدأ بهؤلاء السبعة وثنى بمشيخته على الوجه الآتى :-

- ٢ -

عرض الكتاب وتحليله

علماء القرن السادس

بدأ الغبرينى فعرف بالولى الصـــالح أبى مدين شعيب بن الحسين الاندلسى المتوفى سنة ٥٩٤ هـ ووصفه بأنه الشيخ الفقيه المحقق الواصـــل القطب شيخ مشايخ الاسلام فى عصره ، ومثل لذكائه وحسن تصرفه ومدى الكشف عن بصيرته بحكاية فحواها أن لله مواهب لا تسعها المكاسب قال :-

أخبرنى بعض الأصحاب أن بعض الطلبة وقع بينهم نزاع فى بعض الأحاديث المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله عليه السلام : -

« اذا مات المؤمن أعطى نصف الجنة » فتردد الكلام بينهم فى أن مؤمنين اذا ماتا استحقا الجنة وبقى الناس أجمع دون شىء ، فساروا الى مجلس أبى مدين ليطلعوا علّى ما عنده فى المسألة ، فلما استقروا بمجلسه ترك الشيخ كلامه الذى كان يتحدث فيه وقال : نزيل عن أصحابنا الاشكال ، ثم قال : -

أراد صلى الله عليه وسلم نصف جنته ، وبعد الحشر يعطى النصف الثانى من جنته ، فبعد البعث تكمل له جنته .

وبعد ذكر بعض كراماته يحكى نهاية حياته على الوجه الذى ذكرناه فى الحلقة السابقة .

ويختتم ترجمته له بصفحتين من مأثور كلامه كقوله :

« ثمرة التصوف تسليم كلك » ٠
« مروءتك اعطاؤك عن تقصير غيرك » ٠
« من شغل مشغولا بربه ، أدركه المقت فى الوقت »
ص ٥٦ ـ ٦٥

***

ولا نجد فى ترجمة المسيلى أكثر مما وجدنا فى ترجمة أبى مدين ٠

واذا كان الناس يلقبونه بأبى حامد الصغير ، تشبيها له بالغزالى ، فان الغبرينى يجعل سبب ذلك كتابه [التفكير فيما تشتمل عليه الآيات من المبادىء والغايات] ٠

فهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبى حامد فى كتـــاب [الأحياء] ويستطرد مبالغا فيقول : ـ

« وكلامه فيه أحسن من كلام أبى حامد وأسلم ، وهو كثير الوجود بأيدى الناس ، وكثرة وجود الكتاب دليـل على اعتنـــاء النـــاس به ، وايثارهم له » ٠

وما بعد ذلك حكايات أولياء يقولها معجبا بها ومصـــد لها ، وهذا هو الغبرينى دائما ص ٦٦ ـ ٧٢ ٠

***

وثالث أهل القرن السادس هو الأشبيلى ٠

والغبرينى لا يكل ولا يمل من اضافة كل صفات الفضل الى من يترجم لهم ٠ ها هو ذا يستهل كلامه عن الاشبيلى بقوله :

الامام الشيخ الفقيه الجليل المحدث الحافظ المتقن المجيد العابد الزاهد القاضى الخطيب ٠
اثنتا عشرة خصلة ، أى أنه يثنى بالجملة شكرالله له فضله،فلأنهجميل يرى الوجود جميلا ٠

والاشبيلى ثرى بمؤلفاته التى تداولها العلماء رواية وقراءة وشرحا وتبينا ٠

له الاحكام الكبرى فى الحديث ، والاحكام الصغرى فيه ، وله كتاب فى علم التذكير وله كتاب التهجد ، وله اختصار الرشـــاطى ، يقـــول الغبرينى : ـ

وهو أحسن من الاصل . وله الحاوى فى اللغة ، ثمانية عشر مجلدا ومع أنه كان متخليا عن الدنيا . فقد كانت الوصـيفة من داره تأتى الى مجلسه لقضاء بعض مآرب منزله ، فاذا أتته تطلب منه ما يقضى بالشىء اليسير ، يخرج لها أضعاف ذلك ، وربما قال له بعض الحاضرين : ـ

هذا أكثر من المطلوب ، فيرد عليه بقوله : ـ لا أجمع على أهل المنزل ثلاث شينات : شيخ واشبيلى وشحيح ٠ تكفى اثنتان ٠ يقول الغبرينى وهذا من لوذعته وطيب طينته ص ٧٣ و ٧٥ ٠

***

وكما قلنا ٠ لم يقف الغبرينى من علماء القرن السادس عند الثلاثة الذين ذكرهم ، فها هو ذا يتبعهم بترجمة مسهبة لأبى طاهر عمارة بن يحيى ابن عمارة الشريف الحسنى الذى كان متقدما فى علم العربية والأدب وتواشيحه لهذا فى غاية الحسن ٠

هكذا قال الغبرينى ، والشعر الذى أورده له يؤيد كلامه ٠

***

أما ابنة عمارة المسماة عائشة ، فقد كانت كأبيها أديبة أريبة فصيحة لبيبة طارحت بشعرها ابن فكون القسنطينى ٠

يذكر الغبرينى أنه رأى يتيمة الدهر للثعالبى بخطها فى ثمانية عشر جزءا ، ويصفها بأنها « نسخة عتيقة ما رأيت أحسن منها ولا أصح ، ولقد رأيت منه نسخا كثيرة منتقدة الا هذه النسخة ، ولقد يجب أن تكون هـذه النسخة أصلا لهذا الكتاب حيث كان » ص ٧٦ ـ ٨٠ ٠

***

وبعد عائشـــة وأبيها عمـــارة نجد ترجمتين لأبى عبد الله العربى ص ٨٠ ـ ٨٢ ٠

يقول الغبرينى : انه لا يعلم له وقت ولادة ولا وفاة وأرجح أنه مات قبل سنة ٦٠٠ هـ وأبى الفضـــل بن محمد بن على بن طاهر بن تميم القيس الذى عاش ما بين سنتى ٥٤٠ و ٥٩٨ هـ ٠ ص ٨٣ ـ ٨٥ ٠

وبعلماء وأدباء القرن السادس تنتهى المرحلة التمهيـــدية من كتاب « عنوان الدراية » ٠

ونجد أنفسنا أمام أدباء وعلماء القرن السابع ببجاية ٠
عددهم ثلاثة ومائة ما بين عالم وأديب ومتصوف ٠

أجل ٠ ان العلم والادب والتصوف كانت القاسم المشـــترك الأعظم بينهم جميعا ٠

ومع هذا فلا بأس ، بل لا بد من تصنيفهم ناظرين فى هذا التصنيف الى اللون الغالب على أحدهم وهو اللون الذى يأتى فيه قبل غيره ، أو على الاقل جنبا الى جنب مع غيره ٠

مشيخة الغبريني

- ١ -

أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الانصارى البجائى

أديب فقيه أصولى منطقى متصوف ولد ببجاية وقرأ بها ٠

كان ابن مقلة زمانه فى حسن الخط وتنوعه ، وكانت فيه دعابة مستحسنة مستظرفة على طريقة أمثاله من فضلاء أهل العلم والتخلق ، وكان اذا أثنى عليه بحسن الخلق يقول : ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم : ـ

« أول ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن » ٠

ومن لم يكن عنده أول ما يوضع فى الميزان لم يكن عند غيره ؛ لأن هذا انما يجرى مجرى الأساس ، والله ما بت قط وفى نفسى شر لمسلم ٠

يقول الغبرينى : ـ كان القاضى على القضاة بالحقيقة ، لأن مرجع أمرهم انما كان اليه ، وسمعت كثيرا من أهل العلم يثنون عليه ويقولون : انه لم يكن فى وقته بمغرب بنا الأوسط مثله ٠ ت سنة ٦٧٥ هـ ص ٨٥ ـ ٩٠ ٠

- ٢ -

أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف
٦٠٢ ـ ٦٨٦ هـ

فقيه محدث أديب ، قرأ ببجاية ولقى بها جملة من الفضلاء ٠

أسند اليه قضاء الانكحة ببجاية ، وولى القضاء مستقلا بعد ذلك ببسكرة وقسنطينة والجزائر ٠ كان له درس بالغداة ودرس بين الصلاتين ودرس بعد العشاءين ، دأب على هذا مدة طويلة من عمره واقتصر بعده على تدريس درسين : أحدهما فى مسجده بالغداة والآخر بالجامع الاعظم بين

الصلاتين ، وكان مبارك التعليم حسن النقيبة فى التفهيم ، درس عليه العلم خلق كثير وانتفعوا به ٠

يقول الغبرينى : ـ قرأت عليه رحمه الله وحضرت دروسه وسمعت منه كثيرا ، قرأت عليه الجلاب ، وقرأت بعده الموطأ بالجامع الأعظم ٠
ص ٩١ ـ ٩٢

ـ ٣ ـ

أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعى
ت ٦٦٩ هـ

فقيه حافظ مؤرخ من قلعة بنى حماد ، نعلم فى بجاية ، يقـــول الغبرينى : ـ

قرأت عليه رحمه الله وسمعت منه وأخـــذت عنه ، وهو اول من بدات قراءة الفقه عليه ، وكان يبدأ فى مجلسه بالرقائق ، وبعد ذلك بقراءة الفقه والحديث والرواية ٠

كانت له ببجايه وجاهة ونبـــاهة ، وكانت جموع الامراء فى الامور المجتمع لها لا تنعقد الا بوجوده ، وكان لسان الناس فيها ص ٨١ ٠

ـ ٤ ـ

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن على بن ميمـون التميمى القلعى
ت ٦٧٣ هـ

أديب لغوى نحوى مؤرخ محدث مفسر فقيه ابن جنى المغرب وشهرته الأديب ٠

أورد له المصنف جزئين كبيرين من قصيدتين جيدتين وشبهه فى الشعر بأبى تمام ٠ قال : ـ

هو أكثر الناس شعرا ، وقد شرع فى تدوين شعره عام ٦٣٠ هـ ، وهو فى كل عام يقول منه ما يكتب فى ديولن ، وعاش بعد شروعه فى تدوين

شعره ثلاثا وأربعين سنة ، ولو تم له تدوينه لكان فى مجلدات كثيرة ولكن بأيدى الناس منه كثير . وتواشيحه حسنة جدا ٠

وعن علمه وكتبه وخلقه يقول الغبرينى : -

لزمت عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام،وقد استمتعت به كثيرا واستفدت منه كثيرا ، قرأت عليه الايضاح من فاتحته الى خاتمته وقرأت عليه النصف من كتاب سيبويه ، وقرأت عليه قانون أبى موسى الجزولى ، وقرأت عليه جملة من الامالى ومن زهر الآداب ومن المقامات ، وقصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبى ، وحضرت قراءة المفصل ٠

له كتاب سماه [الموضح فى علم النحو] وله [حدق العيون فى تنقيح القانون] وله [نشر الخفى فى مشكلات أبى على]

كان فيه فضل وسخاء ، وكانت يده ويد الطلبة فى كتبه لهذا سواء لكأنه كان يتمثل بقول الأول : -

كتبى لأهل العلم مبذولة
يدى مثل أيديهم فيها
أعارنا أشياخنا كتبهم
وسنة الأشياخ نمضيها

ص ٩٤ - ٩٩

- ٥ -

أبو العباس أحمد بن خالد المالقى

فقيه متصوف متوكل . وبالرغم من عكوفه عشرين سنة على قراءة أرسطو وتدريسه لطلبته علم المنطق والاشارات والتنبيهات لابن سينا من أولها الى آخرها ومشاركته فى الطب والحكمة والطبيعيات والالهيات ٠

الا انه كان متحملا لأصول الفقه ولأصول الدين على طريقة الائمة المتقدمين أى على طريقة أهل السنة . وكان لا يرى بطريقة فخر الدين

الرازى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ لا لشيء الا لأنها كانت قائمة على الأبحاث الفلسفية ومعتمدة على اعمال النظر ٠

قرأ عليه الغبرينى جملة من الارشاد ، وجملة من المستصفى ، وبعض معيار العلم فى المنطق ٠ توفى ببجاية فى عشر الستين وستمائة ٠
ص ١٠٠

- ٦ -

أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموى

فقيه حكيم طبيب معالج متخصص فى أمراض النساء والولادة ٠
ورد على بجاية من مرسية فى عشر الستين وستمائة مستوطنا ٠

قرأ عليه الغبرينى قانون أبى موسى الجزولى وأرجوزة ابن سينا قراءة اتقان ، وقد انتقل الى تونس بسبب استدعاء المستنصر الحفصى له ، ونظمه اياه فى سلك أطبائه ، وكانت وفاته بها سنة ٦٧٤ هـ ٠
ص ١٠١ ـ ١٠٢

- ٧ -

أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائرى

أديب نحوى لغوى فقيه منطقى ٠ حضر الغبرينى دروسه التى كان يقرأ فيها الايضاح والجمل والمفصل وقانون أبى موسى الجزولى ومقدمة ابن باب شاذ واصلاح المنطق ، وأشعار الجاهليين وحبيب والمتنبى والمعرى وديوان الحماسة والمقامات والامالى وغير ذلك من الكتب الادبية واللغوية والنحوية ص ١٠٣ ٠

- ٨ -

ابو عبد الله محمد بن صالح بن احمد الكنانى الشاطبى

أديب نحوى عالم بالقراءات لغوى محدث متصوف له شعر جيد استجاز وأجاز ٠

وهو اندلسى الأصل استوطن بجاية وكان حيا بها سنة ٦٩٩ هـ وربما كانت هذه الترجمة أول ترجمة لحى فى عنوان الدراية

يقول الغبرينى عنه وهو شاهد رؤية : يقرأ كتب العربية فيجيد وأجود ذلك مفصل الزمخشرى قرأه وأحكمه ، وهو كذلك يقرئه ويجيد فيه ، وتقرأ عليه دواوين الاشعار كشعر حبيب والمتنبى والمعرى وأشعار الجاهليين وغير ذلك وكل ذلك على اتقان واحكام وجودة ايراد ٠

- ٩ -

أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خضر الصدفى الشاطبى
ت ٦٧٤ هـ

فقيه عالم بالقراءات راوية خبير فى قواعد الاملاء والخط وله فى ذلك تأليف جيد لقى الكثير من المشايخ ببجاية ، وروى عنه الغبرينى بعض كتب الحديث واستفاد منه فى علم القراءات وفى طريق الضبط ٠

ص ١٠٨ - ١١١

- ١٠ -

أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغمارى
ت ٦٨٢ هـ

عالم ذكى فقيه من أهل النظر على طريقة فخر الدين الرازى ، ولاعجب فقد كان مغرما به يثنى عليه كثيرا ولا يرى له نظيرا ٠

حضر الغبرينى دروسه التى كانت تتناول الرقائق والفقه وأصوله تولى قضاء العلمية مرة وبجاية مرتين ٠

ولما نزل أمير المؤمنين المستنصر على قسنطينة وجه عنه واعتنى به وسأله عن بجاية وأهلها ٠

قالوا : فأجاب بما يليق به الجواب ، ولعل ذلك هو السبب فى انتقاله الى تونس وبقائه فيها الى أن مات بها سنة ٦٨٢ هـ :

ص ١١٢ - ١١٣

- ١١ -

أبو القاسم بن أبى بكر اليمنى بن زيتون
ت ٦٩١ هـ

متكلم منطقى فقيه ، وفقهه جار على قوانين النظر والاجتهاد ·
ولد ومات بتونس . لكنه كان يتردد على بجاية وقد لقيه الغبرينى فى وطنين ·

ص ١١٤ - ١١٥

- ١٢ -

أبو القاسم أحمد بن عثمان بن عجلان القيسى

فقيه متصوف سنى محدث ولى له اهتمام بالقراءات وعلم العربية وطريق الصالحين · استوطن بجاية مدة من الزمان وقرأ بها وانتفع به الناس علما وعملا ، وكان اذا جلس للاقراء يحضر بين يديه الكتب المقروءة عليه . فاذا فتح الطالب الكتاب ، أخذ هو الكتاب فى يده ويقرأ الطالب وتقع المعارضة ، وحينئذ يقع الشرح منه لما يقرأه القارىء ، وهذا من تثبته وتحوطه رضى الله عنه ·

توفى بتونس فى عشر السبعين وستمائة أيام الواثق [٦٧٥-٦٧٨هـ]·

ص ١١٦ - ١١٨

- ١٣ -

أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن محجوبة القرشى السطيفى
ت ٦٧٧ هـ

عالم فقيه متصوف ولى ذو كرامات ، كان مستجاب الدعوة ، بلغ من فضله وزهده أن عرض عليه الأمير أبو يحيى أن يجعل له مرتبا من أعشار الديوان فى كل شهر فامتنع عن ذلك وقال : ان اسمى فى ديوان الوجود المطلق فلا أجعله فى الديوان المقيد لأن الاطلاق أوسع من التقييد . وهو فى ديوان الحق فلا أجعله فى ديوان الخلق ·

له تأليف حسن فى شرح أسماء الله الحسنى ، وله فى التصوف تقاييد

كثيرة ، وله نظم حسن ، وقطع مستحسنة ، كلها فى المعانى الصوفية ٠

قال الغبرينى : كنت فى زمان الشباب نظمت القصيدة الصوفية التى مطلعهـــا :

واحيرة العشاق بالرقبـــاء حرموا الوصول لطيبة الوسعاء

وهى فى نحو أربعين بيتا فحملتها اليه وأنشدتها بين يديه ففرح بهـا غاية الفرح وجعل يدعو ويقول : بصرك الله لمعانيها وأطلعك على ما فيها ، لأن الحال كان حال شبيبة فاعتقد الشيخ رحمه الله أن ما أتيت به فيها انما هو على سبيل الصناعة لا على سبيل الاطلاع والشهود والله يؤتى الفضل من يشاء ٠

توفى رحمه الله ببجاية فى غرة ذى القعدة عام سبعةوسبعينوستمائة٠
ص ١١٩ ـ ١٢٠

- ١٤ -

أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى الأزدى
٦٠١ ـ ٦٩١ هـ

عالم فقيه ولى ، لكنه كان لا يتسامح فى شىء مما يخالف ظاهرالشريعة ولا يقر شطحات المتصوفة ٠

من أهل رندة واستوطن بجاية الى أن توفى بها ٠

ص ١٢١

- ١٥ -

أبو محمد عبد المجيد بن أبى البركات بن أبى الدنيا الصدقى الطرابلسى

خرج الغبرينى على شرط كتابه وترجـــم له على الرغم من أنه لم يرد بجاية ولم تره ، وانما ذكره لأنه من مشيخته ، فقد لقيه بتونس وتبرك به ٠

وهو عالم فى الأصول على طريقة الأقدمين وفى الفقه على طريقـــة

القرويين وهى طريقة تعتمد على الحفظ والنقل دون اعمال النظر والاجتهاد، ومع هذا فقد كانت له عقيدة فى علم الكلام ، توفى عشر الثمانين وستمائة ٠ ص ١٢٢

- ١٦ -

أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن عتيق الغسانى الجزائرى

أديب منشىء له شعر رائق وكتب أدبى فائق ، وهو الى ذلك عالم فقيه شغل منصب قاضى بجاية ، وهو أصلا من مدينة الجزائر توفى بعد سنة ٦٧٠ هـ بتونس ٠

يقول الغبرينى : صحبناه واستفدنا منه واهتدينا بهديه وتعرفنا بركة رأيه رحمه الله وغفر له ٠

من شعره فى وصف مشاهد القيامة والشفاعة :

ص ١٢٥

لكل نبى دعوة مستجابة
وسيدهم طرا خباها لأمته
الى يوم لا يغنى عن المرء منطق
فصيح ولا يدلى البليغ بحجته
ويوم يفر المرء من ولد له
حبيب ولا يجزى أب بأبوته
ترى الناس فيه بين باك وصارخ
وذاكر ما قد فات من فرط زلته
فكل به حيران يندب شجوه
وسكران لا من خمرة بل بغمرته
وكل نبى يسأل الله نفسه
ويضرب صفحا عن سؤال لأمته
خلا شافع فينا كريم مشفع
به يشمل الله العباد برحمته

- ١٧ -

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجى الشاطبى
ت ٦٩١ هـ

فقيه أصولى لغوى طبيب متبحر ، تخطط بخطة القضاء فى غير ما بلد ثم قضى ببجاية ، وبعدها ولى قضاء حاضرة افريقية ، ووجهه ملك افريقية رسولا الى صاحب الديار المصرية فحمد مسعاه وشكر منحاه توفى بتونس سنة ٦٩١ هـ .

ص ١٢٦ ـ ١٢٨

- ١٨ -

أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الانصارى البلنسى
٦١٩ ـ ٦٩٣

عالم أديب له شعر فى الزهد والتصوف ، من أهل بلنسية .

استوطن بجاية وولى قضاءها واقامة الفريضة بجامعها الأعظم ثم استدعى لحاضرة افريقية وقدم للقضاء بها أكثر من مرة .

يقول الغبرينى : رأيته ببجاية ولقيته بها ، ورأيته أيضا بتونس رؤية جيدة ، واستفدت من أخلاقه ، ومن الاطلاع على أحكامه بحضورى مجلسه.

ومن عجائب الصدف أنه ولد بجيان يوم عاشوراء سنة ٦٠٩ هـ وهو عام العقاب ، وتوفى بتونس يوم عاشوراء عام ٦٩٣ هـ .

من شعره :

أمـا آن للنفس أن تخشعـا
أمـا آن للقـلب أن يقلعـا
أليس الثمـانون قد أقبلت
فلم تبـق فى لذة مطمعـا
تقضى الزمـان ولا مطمـع
لما قد مضى منـه أن يرجعـا

ص ١٢٩ ـ ١٣١

- ١٩ -

أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم السجلماسى

متصوف عابد زاهد ولى ، لقى مشيخة فاضلة بالمغرب والمشرق كان قويا فى علم التوحيد . وكان يرى أن التوصل الى الحقائق ، والترقى الى أعلى المراقى لا يكون الا بالتوحيد · وتلمذة الغبرينى عليه تلمذة فى التصوف · توفى بقلعة بنى حماد ·

ص ١٣٢ - ١٣٣

- ٢٠ -

أبو الحسن على بن محمد الزواوى اليتورغى

زاهد ولى ذو كرامات لقيه الغبرينى وهو على أول السن ببلدة بنى يتورغ بموضع سكناه منها ·

ويقول فى نهاية ترجمته له « فهذه المشيخة التى لقيتها وتخيرتها للمشيخة على وانتقيتها نفع الله بها . وهذا أوان ذكر من بقى من العلماء الذين اشترطت فى الكتاب ذكرهم رحمهم الله ورضى عنهم أجمعين » ·

ص ١٣٣ - ١٣٤

وقبل أن ننصرف عن مشيخة الغبرينى ننبه الى أن الطابع الغالب عليهم هو العلم أولا والتصوف أو الولاية ثانية ·

أما الأدب فيأتى بعد ·

دليلنا على ذلك أنهم عشرون منهم خمسة فقط يغلب عليهم الأدب وهم الأنصارى والتميمى وابن سعيد والشاطبى والغسانى ·
وبالعد الحسابى ١ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٦ ·

وقد ترك ذلك أثره على الغبرينى ، فهو - كمشيخته - عالم سلفى يؤمن بالكرامات ولو كانت خرافات ·

هذا أولا ٠

أما ثانيا فهو أديب بارع فى الكتابة ٠

ومن شعره قوله :

لا تنكحن سرك المكنون خاطبـــه
واجعل لميته بين الحشا جدثا
ولا تقل : نفثة المصدور راحته
كم نافث روحه من صدره نفثا

علماء وأدباء بجاية من غير مشيخة الغبريني

- ١ -

أبو زكرياء يحيى بن أبى على المشتهر بالزواوى
ت ٦١١ هـ

عالم فقيه محدث مفسر صالح عابد ولى من أهل طريق الحق ، استوطن جاية بعد عودته من المشرق ومات بها فى ١٤ من رمضان سنة ٦١١ هـ ٠

وابتداء من هذه الترجمة نجد الغبرينى صاحب رأى ورأى واضح مشع فى أمور التصوف والتذكير والزهد ، لست أدرى لماذا ؟

لعله النضج والانفـــلات من قيود الأدب أو التأدب اللازم فى حضرة المشيخة ٠

يقول عن صاحبه الزواوى ما نصه : « وكان الغالب عليه رضى الله عنه الخوف ٠ ما يمر بمجلسه الا ذكر النار والاغلال والسعير ، وتكاد تفيض قلوب الناس فى مجلسه ، هذا هو حاله دائما ، وهـذه الطريق هى أحسن الطرق فى الدعاء الى الله تعالى : اذ جبل الله الخلق على أنهم لا ينفعلون غالبا الا بالخوف ، ولأجل هذا كان أكثر الشريعة تخويفا » ٠

لكنه أى الغبرينى أو الزواوى أو هما معا قد وقعا فى التنـــاقض الصارخ ٠

واقرأ معى هذا الكلام الذى جاء فى أعقاب الكلام السابق بلا فاصل أى فاصل **قال** :

« وما زال رضى الله عنه مستمرا على هذه الحال الى يوم وفاته يبسط أمل الناس ورجاءهم فى رحمة الله وفى سعة مغفرته ، ومناهم بما عنده من كثرة الثواب ، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا الى غير ذلك مما اشتمل عليه مجلسه ٠

وهذا طريق حسن ؛ لأنه لم يبق عند لقاء الله الا الطمع فى رحمتـــه

والرغبة فيما عنده . لأن الخوف فائدته انما هى الحض على العمل . وحين الموت انقطع العمل ، ولم يبق الا قوة الأمل لتلقى الله طيبة نفسه فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه حسبما اقتضاه الحديث » ٠

***

ويظهر أن الشيخين الزواوى والغبرينى كانا يريان قبض النفس الانسانية وزجرها بالوعيد . ثم بسطها واغراءها بالوعود ٠

والله أعلم ٠

ص ١٣٥ - ١٣٩

- ٢ -

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعافرى القلعى

عالم فقيه نحوى مقرىء خطيب راوية من أهل بجاية ٠

كان اذا أحيا ليلة القدر يرغب الناس فى القيام خلفه لصدق قراءته . بما فيهم والى بجاية عبد الله بن يؤمن ، وكان يصلى وراءه قائما لا يركن الى الجلوس . فاذا قرأ غيره ممن يعينه جلس ٠ وهذا تقدير كبير للمترجم له ٠

ص ١٤٠

- ٣ -

أبو محمد عطية الله بن منصور الزواوى اليراتنى

عالم فقيه عابد حافظ ٠

ولا يزال الغبرينى على تسليمه بكرامات الأولياء دون مناقشة ٠

ص ١٤١

- ٤ -

على بن أبى نصر فتح بن عبد الله
٦٠٦ - ٦٥٢

عالم فقيه محدث عابد ورع ٠ من أهل بجاية رحل الى الأندلس والى الشرق ثم استقر ببجاية ٠

ص ١٤٢ - ١٤٤

- ٥ -

أبو الحسن على بن احمد بن الحسن بن ابراهيم الحرالى التجيبى

شرق هذا الشيخ وغرب وعاش فى بجاية مدة ، كان معظما لأهل البيت معترفا بالاسترقاق لهم ، كما كان زاهدا زهدا حقيقيا بالظاهر والباطن ·

أما علمه فحدث عنه ولا حرج ، ولندع الغبرينى يتكلم قال :

وممن لقى بالمشرق الامام أبو عبد الله محمد القرطبى امام الحرم الشريف قال رحمه الله : « تعلمنا عليه الفاتحة فى نحو من ستة أشهر ، وكان يلقى فى التفسير قوانين تتنزل فى علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام ، الى أن من الله ببركات ومواهب لا تحصى مما لا عين رأته ولا أذن سمعته · ولا خطر على قلب بشر » ·

ويسترد الغبرينى الكلام من الامام ليقول :

جمع رحمه الله فنون العلم بجملتها واستولى على كليتها :

أما علم الأصول . فأصول الدين وأصول الفقه هو أعلم الناس بها وقد صنف فيها ·

وأما معقولات الحكماء . فهو أعلم الناس بالمنطق ، وله فيه تصنيف سماه [المعقولات الأول] ·

وأما علم الطبيعيات والالهيات فكان أعلم الناس بها ·
أخبرنى شيخنا أبو محمد بن عبد الحق رحمه الله تعالى : قال لى :

كنا نقرأ عليه [النجاة] لابن سينا ، فكان ينقض عراه نقضا وذلك بعد أن يوضح منه ما يليق ويقرره بأحسن طريق ثم ينقضه ويوهنه » ·

وأما علم التعاليم فكان أعلم الناس بها ، وأما علم الفقه فكان أعلم الناس به منقوله ومعقوله ·

وأما علم التفسير ، فكان يورد الآى ويناسقها نسقا بديعا ويتكلم فيها

بما لم يسبق اليه ، وله تفسير على كتاب الله تعالى سلك فيه سبيل التحرير وتكلم عليه لفظة لفظة وحرفا حرفا ٠

وعلم الحديث كان له فيه تقدم وعلو سند ٠
وعلم العربية لغة ونحوا وأدبا كان متقدما فيه ٠

له التآليف الحسنة ، وله الشعر الفائق الرائق غزلا وتصوفا ، وله فى علم الفرائض ما لم يسبق اليه ٠

وأما علم التصوف فهو فيه الامام ٠

وبالجملة فحيث تكلم فى علم يعتقد الناظر فيه أنه لا يعرف غيره ٠

وما من علم الا وله فيـــه تصنيف وتآليف وهو من أحسن التصانيف وأجل التآليف ٠

ولعمرى ان كتابه فى علم الفرائض المسمى (الوافى) ما رأيت مثله فى ذلك الفن ، وكذلك كل ما طالعته من كلامه فى أصول الفقه وأصول الدين وعلم المنطق وعلم العربية وعلم التصوف وغير ذلك من سائر ما تحدث فيه رضى الله عنه ٠

***

والغبرينى ـ كما نرى ـ مفتون بصاحبه ، فلا عجب أن كال له بالكيل الوافى ، وذهب فيه الى ما لا يعقل قال :

ولقد زهد رضى الله عنه حتى فى الكتب ؛ فانه لم يكن عنده منها شىء ، وكان لا يفتقر فى مراعيده الى مطالعة شىء ؛ لاحاطته وتحصيله ، وجميـــع ما صنفه من الكتب ما كان يراجع فيه كتابا ولا يطالع فيه سوى مجرد فكره وتسديد رأيه ٠

توفى رحمه الله بحماه من بلاد الشام سنة ٦٣٧ هـ ٠

ص ١٤٥ ـ ١٥٧

- ٦ -

بو عبد الله محمد بن على الطائى الحاتمى محيى الدين بن عربى المرسى

عالم فقيه متصوف لكن تصوفه من النوع الفلسفى · أصله من مرسية دخل بجاية سنة ٥٩٧ . وأقام بها مدة ·

له من التأليف ما هو أكثر من الكثير ، وكلها فى علم التصوف ، يقول الغبرينى : وفيها ما فيها ·

ان قيض الله من يسامح ويتأول الخير سهل المرام ·

وان كان ممن ينظر بحسب الظاهر ولا يتسامح فى نظر ناظر . فالأمر صعب ، والملتقى وعر ·

ولقد صدقت نبوءة الغبرينى . فقد نقد عليه أهل مصر ما صدر عنه وحبسوه تمهيدا لقتله . كما قتل الحلاج وأشباهه ·

لكن الشيخ أبا الحسن على بن أبى نصر فتح بن عبد الله البجائى ما زال ساعيا فى أمره . ومظهرا من وجوه التأويل فى شأنه ما اقتضى الاعراض عن زلته والمسامحة فى هفوته ·

ولما غدا ابن عربى حرا ذهب الى البجائى وقال له :

كيف يحبس من حل منه اللاهوت فى الناسوت ؟!!

فأجابه البجائى : يا سيدى تلك شطحات فى محل سكر ولا عتب على سكران ·

توفى رحمه الله فى نحو الأربعين وستمائة ·

ص ١٥٨ ـ ١٦٠

- ٧ -

أبو الفضل قاسم بن محمد القرشى القرطبى
ت ٦٦٢ هـ

عالم فقيه صالح زاهد مستجاب الدعوة ذو كرامات كثيرة خرج من قرطبة الى بجاية وسنه عشر سنوات ·

ص ١٦١ ـ ١٦٤

- ٨ -

أبو زكرياء المرجانى الموصلى

نسبة الى الموصل بالعراق . ولكنه عاش فى بجاية فترة . صالح ورع كاشف فقيه .

ص ١٦٥

- ٩ -

تقى الدين الموصلى

ولى أمى لا يقرأ ولا يكتب ، رحالة لم يبق عليه من الأقاليم اقليم الا سلكه وكان يحدث عن غرائب وعجائب . وصل الى بجاية فى مدة الشيخ أبى الحسن الحرالى وكان يقول عنه : انه من أساطين الحكمة وأنه كقس ابن ساعدة وزيد بن عمر بن نفيل هداه الله الى الحق بموجدة نفسه من غير اكتساب ، وتوصل الى ما يتوصل اليه أهل البراهين من خالص الصواب .

نسبته الى الموصل كسابقه ولم يظل ببجاية بل تركها الى المغرب الاقصى .

ص ١٦٦ - ١٦٧

- ١٠ -

أبو العباس الجدلى الشريف

أصله من أصبهان ، ورد بجاية وأقام بها مدة ثم انصرف الى المغرب وهو فقيه محدث جدلى .

ص ١٦٨

- ١١ -

أبو النجم هلال بن يونس الغبريلى

فقيه عابد ولى بجائى .

ص ١٦٩

- ١٢ -

أبو عبد الله محمد بن على القصرى

من أهل بجاية . كان عالما بالفقه وأصول الدين ، بارعا فى علم العربية . متقـــدما فى علم التصوف . سيدا فى طريق الانقطـــاع والعبادة . متواضعا موصوفا بالتقوى على ما عليه السلف الصالح رضى الله عنهم .

ص ١٧٠

- ١٣ -

أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد المتوسى المليانى
ت ٦٤٤ هـ

سكن بجاية وأقرأ بها وأسمع . له علم بالعربية والفقه وأصول الدين وحظ من التصوف والعبادة .

ص ١٧١ - ١٧٢

- ١٤ -

أبو عبد الله بن شعيب

عالم فقيه أصولى ولى متصرف تصوفا سنيا . دخل بجاية فى مـــدة اجتيازه الى المشرق .

ونجد الغبرينى وهو يترجم له يقص قصته مع البجائى الذى أضافه . وفحواها : أنه لم يؤد الا الصلوات المفروضة وسننها المؤكدة ، ولما استقل ذلك منه ألهم الله شعيبا شعور المضيف نحوه ، فأقام عنده ثلاثين يومالايأكل ولا يشرب ، **كرامة طبعا** ، ولما هم بالانصراف قال لمضيفه :

ما أقمت عندك هذه المدة الا لئلا تزدرى بأولياء الله اذا رأيتهم يؤدون الفرائض ويقتصرون عليها ، وأى فضل أعظم من أداء الفرائض اذا فعلها الفاعل على حقيقتها وارتكب جميل طريقتها ؟!!

وهنا يخبرى الغبرينى مدافعا عن شعيب ومبديا رأيه فى سلوكه بقوله:

وهذا الرجل [شعيب] انما كان من أهل العرفان ، وانما كانت عبادته فى فكرته ولكن العامة ما يرون الفضل الا لمن يكثر الركوع والسجود والصيام، وان كان جاهلا ، وذلك لعدم تمييزهم وقلة علمهم ·

ثم يقص قصة مماثلة ويعلق عليها تعليقا مماثلا فيقول :

ان العامة لا يدركون الا الأحوال الظاهرة ولا علم لهم بالأسرار ·
« يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » ·
أعاد الله علينا بركات أولياء الله بفضله ·

***

ومن هذين التعليقين للغبرينى نفهم أنه كان يرى أن للأولياء عمقهم الخاص بهم ، وعالمهم المغلق عليهم ، ولا حق لنا فى محاسبتهم بما نحاسب به أنفسنا ولا فى قياسهم علينا ·

أما أنا فأرى أن الانحياز بهم الى عالم الأسرار التى لايصح لنا ولوجها انحياز خاطىء وفى غير محله ؛ فالكل فى شرع الاله سواء والله أعلم ·

ص ١٧٣ ـ ١٧٦

- ١٥ -

أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النغرى
ت ٦٤٢ هـ

أديب عالم بالنحو واللغة والفقـــه والمنطق له شعر بارع وأدب غض يانع ومما ألفه : تقييد على كتاب المفصل ، واختصار [حلية الأوليـاء] لأبى نعيم ·

أصله من شاطبة ثم جاء الى بجاية ، وقبره بحومة رابطـــة المتمنى خارجها ·

ص ١٧٦ ـ ١٧٧

- ١٦ -

أبو عبد الله الشريف

عالم عامل فقيه متكلم متعبد زاهد بجائى ·

ص ١٧٧ ـ ١٧٨

- ١٧ -

أبو الحسن على الشهير بابن الزيات

عالم فقيه متعبد أندلسى استوطن بجاية ثم استوطن تونس وبها توفى · كانت تقرأ عليه الكتب المذهبية مثل :

التهذيب : للبراذعى المتوفى فى أوائل القرن الخامس الهجرى ·

التلقين : للقاضى عبد الوهاب المالكى ·

الجلاب : لأبى القاسم عبيد الله بن الجلاب والاسم الحقيقى للكتاب التفريع ·

الرسالة : لأبى زيد القيروانى المتوفى سنة ٤٠١ هـ ·

ص ١٧٨

- ١٨ -

أبو تمام الواعظ الوهرانى

عالم عابد ولى · سكن بجاية واشتغل فيها بعلم التذكير ·

ص ١٧٩

- ١٩ -

أبو على عبد المحسن الوجهانى الصواف

عالم عابد فقيه بجائى ارتحـــل الى المشرق للحج فظهر أمره بمصر ظهورا كليا ·

ص ١٨٠

- ٢٠ -

أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصارى [٥٦٠ ـ ٦٥٧ هـ]

عرف بابن السراج الاشبيلى . وهو عالم فقيه راوية متعبـد من أهل أشبيلية . استوطن بجاية ومات بها ·

ص ١٨١

- ٢١ -

أبو اسحق ابراهيم بن ميمون بن بهلول الزواوى
ت ٦٨٦ هـ

أديب فقيه ولى . له نظم حسن وكلام فى النثر مستحسن رحـــل الى المشرق وتوفى ببجاية .

ص ١٨٢

- ٢٢ -

أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون البردوى
ت ٥٨٤ هـ

فقيه رحل الى المشرق وعاد الى مراكش فعينه خليفتها قاضيا لبلنسية سنة ٥٦٨ هـ ثم صرف عن ذلك منقولا الى قضاء بجاية ، واستقدم الى مراكش من بجاية ليتولى مرة ثانيـــة قضاء بلنسية فتوفى فى طريقه اليها بتلمسان سنة ٥٨٤ هـ .

ولست أرى له ما يجعل الغبرينى يكسر به شرط كتابه ؛ فهو من أهل القرن السادس الهجرى لا السابع .

ص ١٨٣

- و ٢٣ -

أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الفهرى المشتهر بالأصولى

عالم فقيه أصولى متكلم موسيقى . من أهل بجاية . وقد ولى قضاءها ثلاث مرات .

وهو صاحب الفضل فى انقاذ أبى الوليد بن رشد من فتـك المنصور الموحدى به ، فانه لما كتب فى مؤلفه [الحيوان] :

[ورأيت الزرافة عند ملك البربر] .

وهم المنصور بقتله قال : انما كتب : [ورأيت الزرافة عند ملك البرين] وانما جاء فيه زيادة ونقص .

ودفاع آخر دافع به عن صديقه وصفيه ابن رشد . وهو أنه كان قد جرى بمجلس أمير المؤمنين منع العمل بالشهادة على الخط فاستند الفهرى على ذلك وحاج أمير المؤمنين قائلا :

منعتم الشهادة على الخط فى الدرهم والدينار ، وتجحدونها فى قتل المسلم ؟!!

والدفاعان قويان وهما يدلان على حسن التصرف ورباطة الجأش .
ص ١٨٤

- ٢٤ -

أبو العباس محسن بن أبى بكر بن شعبان

عالم فقيه خطاط من أهل بجاية .

ص ١٨٧

- ٢٥ -

أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الأزدى

عرف بابن يبكى القلعى ، وهو عالم فقيه من قلعة بنى حماد ، يقول الغبرينى عنه : صاحب الرابطة المعروفة برابطة ابن يبكى بداخل باب ميسون من أعلى سند بجاية وبها قبره رحمه الله .

ص ١٨٨

- ٢٦ -

أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعى

فقيه قاض محدث من قلعة بنى حماد،لكنه رحل الى بجاية واستوطنها .
ص ١٨٩

- ٢٧ -

أبو عبد الله بن أمة الله

عالم فقيه من أهل العلم بأصول الدين،كانله منالمعرفة به والاشتهار فيه ما أربى على المتقدمين ٠

ص ١٩٠

- ٢٨ -

أبو جعفر بن أمية

أديب فقيه ذو خط جميل ، له شعر كثير فى النسيب والحكمة والتصوف ومن شعره فى التحقيق هذان البيتان :

ظهرت فلم تعرف لشدة غفلة
عرضت فأنكرت النفوس ظهورها

ولقد أطالوا الخبط فيها عشوة
وهى التى أشـــهدتهم نورها

ص ١٩٠ ـ ١٩١

- ٢٩ -

أبو عبد الله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى القلعى

عالم فقيه من أهل قلعة بنى حماد قرأ ببلده وقرأ ببجاية ولقى بها جلة منهم الشيخ أبو مدين شعيب رضى الله عنه ٠

ص ١٩٢

- ٣٠ -

أبو محمد عبد الحق الأزدى الاشبيلى
ت ٦٢٨ هـ

محدث أصولى نحوى مؤرخ أديب ٠ من مؤلفاته :

١ ـ الاعلام بفوائد الأحكام ٠
٢ ـ شرح مقصورة ابن دريد ٠
٣ ـ النبذ المحتاجة فى أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية ٠

ص ١٩٣

- ٣١ -

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد السلام ٠ عرف بابن الطير

فقيه أصولى ٠ ولى قضاء بجاية محمولا عليه وهو لا يريد ٠

ص ١٩٤

- ٣٢ -

أبو زيد عبد الرحمن بن على بن محمد القرشى الصقلى المعروف بابن الحجرى

فقيه نحوى لغوى ، أصله من صقلية كما تدل نسبته ، لكن أخذ العلم عنه ببجاية خلق كثير ٠

ص ١٩٥

- ٣٣ -

أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى الاغماتى

لغوى نحوى فقيه منطقى مؤرخ من أهل اغمات بالمغرب الأقصى استوطن بجاية وولى القضاء ببعض جهاتها وكان مشتغلا بالتدريس بها وقرأ عليه الشيخ الأجل أبو اسحاق بن عمران أيام ولايته السلطانية ببجاية ٠

ص ١٩٦

- ٣٤ -

أبو عثمان سعيد بن عبد الله المعروف بالجمل

فقيه متصوف ، جلس للاقراء ببجاية ، وكان نافذ النظر فى أصول الدين وهو أعظم علومه ٠

ص ١٩٨

- ٣٥ -

أبو على عمر بن مالك المرساوى

كان أعلم الناس بعلم الكلام وبأصول الدين ، يقول الغبرينى : « وكل من كان له مشاركة فى أصول الدين ببلدنا فما كان أخذه الا عن طريق أبى على المرساوى » ٠

ص ١٩٨

- ٣٦ -

أبو الحسن على بن عمران بن موسى المليانى · عرف بابن أساطير ·

يقول الغبرينى عنه : كان له علم بالفقه وأصول الدين والتصوف وعلوم الحكمة قرأ عليه بعض خواص أصحابه كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا وكان من عدول بجاية وخيارها ·

ص ١٩٩

- ٣٧ -

أبو على منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالى
ت ٧٣١ هـ

له علم بالفقه وأصول الفقه وأصول الدين . وله مشاركة فى علم المنطق وعلم العربية ·

ص ٢٠٠

- ٣٨ -

أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن الخطيب

فقيه نحوى منطقى أصولى حكيم متصوف أديب ·
أورد له الغبرينى شعرا حسنا فى التصوف ·

ص ٢٠١ - ٢٠٣

- ٣٩ -

أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر

له تحصيل فى الفقه جيـــد ، وله علم بأصول الدين وأصول الفقه ، ومعرفة بالحكمة وبراعة فى علم المنطق ·

قرأ ببجاية ثم رحل الى المشرق وتوفى بتونس حوالى سنة ٦٨٠ هـ
ص ٢٠٤ - ٢٠٨

- ٤٠ -

أبو زيد عبد الرحمن بن على بن أبى دلال

أديب شاعر خطيب له مشاركة فى الفنون وفى عقلى العلوم ونقليها وجزه أحسن توجيز ، ومن نظمه فى بعض أصحابه قصيدته السينية اللزومية وهى قصيدة سهلة لعدم تكلفها وقلة تعسفها ٠

ص ٢٠٥

- ٤١ -

أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن سبعين المرسى

له مشاركة فى معقول العلوم ومنقولها . وله فصاحة وبلاغة ٠

كتبه كثيرة فى أيدى الناس ، لكن له فيها ألغازا واشارات وتسميات مخصوصات هى نوع من الرموز ، وفى المقابل له تسمياتظاهرةهىكالأسامى المعهودة ، وله شعر فى التحقيق فى مراقى الطريق ٠

وكتابته مستحسنة فى طريق الأدباء ٠ توفى حوالى ٦٦٩ هـ ٠

ص ٢٠٩

- ٤٢ -

أبو الحسن على النميرى الششترى
ت ٦٦٨ هـ

أديب صوفى حكيم فقيه ولى ٠ شعره فى غاية الانطباع والملاحة وتواشيحه وأزجاله فى غاية الحسن ٠

أندلسى الأصل ٠ عاش فى بجاية ومات بمصر ، وقبره فى ثغر دمياط على البحر الأبيض المتوسط ٠

ص ٢١٠ ـ ٢١٢

- ٤٣ -

أبو العباس أحمد بن أبى القاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمى الخطيب

غلب عليه الفقه ، وهو أول بيت بنى الخطيب ببجاية ، ولى قضاءها

من مراكش ، وقد استمرت مدته وطالت ولايته . وكان أكثر الناس حظوة عند بنى عبد المؤمن ٠

ص ٢١٣

- ٤٤ -

ابو محمد عبد الله بن أحمد بن أبى القاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمى ت ٧٢٠ هـ

أحد قضاة العدل ، وولاة الدين والفضل ، ولى قضاء سبته بالعدوة وبلنسية بالأندلس ومات بمدينة تونس ، فلعله مر ببجاية وهو فى طريقه الى افريقية والا لما ترجم له الغبرينى هنا ٠

ص ٢١٤

- ٤٥ -

ابو محمد عبد الله بن حجاج بن يوسف الجزائرى

من الفقهاء الذين تولوا القضاء ببجاية ٠

ص ٢١٥

- ٤٦ -

أبو محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الحسنى

فقيه ، وهو الذى ترافع فى حضرة أمير المؤمنين بمراكش عن الفقيه أبى زكرياء الزواوى لما خاض فى أمر ابن حزم حتى قال الخليفة : يترك هذا الرجل [الزواوى] على حسن اختياره ٠ أى على حسن اختياره من يدافع عنه ٠

ص ٢١٦

- ٤٧ -

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأريسى

فقيه مفت يجيد الخط المشرقى ٠

ص ٢١٧

- ٤٨ -

أبو على عمر بن عزون السلمى

رحل الى بلاد المشرق فقرأ ومهر ، وعاد الى بجاية فظهر واشتهر وحظى بها فكان المشاور والمفتى ·

ص ٢١٨

- ٤٩ -

أبو الحسن على بن عبد الله الأنصارى البونى

ناب عن القضاة فى بجاية نيابة مطلقة تنزلت منزلة الأصالة ، وما ذلك الا لنهوضه فى الأحكام ومعرفته بوجوه الحلال والحرام ·

ص ٢١٨

- ٥٠ -

أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين الخشنى البجائى

عالم · فقيه · مشاور ·

ص ٢١٩

- ٥١ -

أبو زكرياء يحيى بن على بن حسن بن حبوس المهدانى

كان أحد الفقهاء المشاورين ، والجلة المفتين ببجاية ·

ص ٢٢٠

- ٥٢ -

أبو اسحاق بن العرافة

ولى صلاة الفريضة والخطابة بالجامع الأعظم ببجاية ، وكان له به مجلس علم حافل يدرس فيه علوم الرواية وعلوم الدراية ·

ص ٢٢٢

- ٥٣ -

أبو سعيد بن تونارت الدكالى

لم تكن له مشاركة فيما سوى الفقه وقد درسه ببجاية ٠

ص ٢٢٢

- ٥٤ -

أبو زيد عبد الرحيم بن عمر اليزناتى

رحل الى المشرق فلقى الأفاضل وجد واجتهد ، ولما وصـــل الى بجاية اشتهر بها وعكف على التدريس فيها ، وكان محصلا لمذهب مالك ، ولأصول الفقه على طريقة الأقدمين ، ومن أهل الاجتهاد ٠

ص ٢٢٣

- ٥٥ -

أبو زكرياء اللقنتى الأندلسى

فقيه أندلسى رحل الى بجاية واستوطنها وأقرأ بها ، وأسمع ، وكان جلوسه بالجامع الأعظم ، ولما رحل الى حاضرة تونس استدعاه ملكهـــا وسأله عن حاله وعن طلبته ٠

ص ٢٢٤

- ٥٦ -

أبو سليمان داود بن مطهر الوجهانى

رحل الى المشرق فحج وقرأ ودرس ورأس واجتهد ، كان له علم بالفقه وبأصوله وأصول الدين ومشاركة فى العربية ٠

ص ٢٢٥

- ٥٧ -

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر بن السطاح الجزائرى ت ٦٢٩ هـ

نحو لغوى فقيه ٠ أصله من الجزائر ٠ رحل الى أشبيلية وقرأ بها ٠ وهو أول من أدخل كتاب [الأنوار فى الجمع بين المنتقى والاستذكار] الى العدوة ، نسخة بخط يده ٠

استوطن بجاية وأقرأ بها وناب عن قضاتها فى الأنكحة ٠

ص ٢٢٥

- ٥٨ -

أبو يوسف يعقوب بن يوسف الزواوى المنجلاتى
ت ٦٩٠ هـ

متعبد مبارك له معرفة بالفقه وأصوله ومشاركة فى علم العقائد ٠

قرأ ببجاية ورحل الى حاضرة افريقية ثم رجع الى بجاية وأقرأ بهـا وعظم أمره واشتهر حتى صار مجلسه بها من المجالس المعتبرة ٠

توفى بتيكلات وهى مكان معروف ببلاد القبائل ودفن حيث مات ٠

ص ٢٢٦

- ٥٩ -

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبى بكر المنصور القلعى

فقيه من قلعة بنى حماد ، كان له علم بالحساب سبق فيـــه الأوائل والأواخر لو لقيه الحصار وابن وهيب ما أمكنهم الا الاستماع منه والاخذ عنه ، وكانت له طريق فى الفرائض ملخصة فى نهـــاية القرب ، ولم يكن ببجاية فى وقته أحد يريد قراءة هذا العلم الا قرأه عليه ، وكان يقصه من البلاد لقراءة هذا العلم عليه ٠

توفى ببجاية فى عشر الستين وستمائة ٠

ص ٢٢٧

- ٦٠ -

أبو على عمر بن أحمد العمرى البجائى

فقيه أصولى من أهل بجاية ، رحل الى المشرق فلقى الأفاضل وحج ، ولما رجع الى بجاية كان أحد عدولها والمتصدرين للتدريس بها ٠

ص ٢٢٨

- ٦١ -

أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على بن دحية الكلبى
ت ٦٣٣ هـ

أديب نحوى مؤرخ محدث فقيه ، استوطن بجاية وروى بها وأسمع كان من أحفظ أهل زمانه للغة حتى صار حوشيها عنده مستعملا غالبا عليه، ولا يرضى الغبرينى عن ذلك ، وهو يفسره بحب الظهور والاشتهار · رحل الى المشرق فى عهد الأيوبيين فرفعوا شأنه وقربوا مكـــانه ، وحضروا له مجلسا أقروا له فيه بالتقدم ·

كتب الى الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب قصيدة رائعة منها :

ما لى أســـائل بـرق بارق عنـكـم
من بعـــد ما بعـــدت ديارى عنـكـم
وبمنحنى الأضـلاع بل وادى الغضـا
من مهجـــتى يا راحـــلين نزلتـــم
فمحلكم قلبى وأنتـــم بالحشـــا
لا بالعقيـــق ولا برامـــة أنتـــم

ولما رد عليه ممدوحه بنثر وشعر يثنى عليه وعلى شعره فيهما كتب له قصيدة أخرى أروع وأوقع ·

ص ٢٢٨ ـ ٢٣٨

- ٦٢ -

أبو الربيع سليمان الأندلسى المعروف بكثير

شاعر ناقد فقيه له علم بالحديث ومعرفة برجاله ، حافظ لأسانيـــده محصل لمعانيه ، من أهل الضبط والحفظ · قال الغبرينى عنه :

وأما الأدب فشأوه فيه لا يدرك ، سبق فيه أهل الزمان وأربى ، ولمثله فى الفصاحة والبلاغة تحل الحبى · وقال أبو الحسن الحرالى :

بلغ كثير فى رتبة البلدان أن يكون كأوائل العرب يحتج بشعره فى ذلك

لما كان انتهى اليه من الفصاحة والبلاغة حتى صارت له طبيعة ، وكان سريع البديهة ؛ يكتب عنه ولا يقف ، ويورد أحسن ايراد ٠

له قصيدة فى نحو خمسمائة بيت يصف فيها حاله ويعاتب وقته هذا مطلعها :

الحمـــد لله ليس لى بخت ولا ثيـاب يضمها تخت

وكان لسان نقد على المؤلفين والمصنفين والمتكلمين ٠

ومن جملة نقوده قوله عن كتاب الاحياء لأبى حامد الغزالى :

ومتى ماتت العلوم حتى تحيا ؟!! علوم الدين ما زالت حية ولا تزال ٠
٢٣٩ ـ ٢٤١

- ٦٣ -

أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الوغليسى

اديب فقيه عالم بالكتابتين الأدبية والشرعية ، كان المعتمد عليه فى وقته فى المخاطبات السلطانية انشاء وجوابا ، كما كان عليه اعتماد القضاة فى التسجيلات ، واليه كان يهرع أهل البلد فيما يحتاجون اليه من الوثائق المحكمات والأمور المستغربات ٠

ولى الخطابة بجامع القصبة المحروسة فى بجاية ، وكان فصيح القلم واللسان بارع الخط ٠

ص ٢٤١

- ٦٤ -

ابو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن محمد الزهرى ويعرف بابن محرز البلنسى
ت ٦٥٥ هـ

أديب لغوى مؤرخ فقيه محدث راوية ، لقى كثيرا من الفضـــلاء فى

الأندلس والمشرق والمغرب ، وأجاز له كثير منهم ، وقد ارتحل الى بجاية بعد الأربعين وستمائة واستوطنها الى أن مات بها ·

رأى له الغبرينى نظما ونثرا لا بأس بهما ·

ص ٢٤١ ـ ٢٤٤

- ٦٥ -

أبو عثمان سعيد بن على بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصارى البلفسى ت ٦٥٤ هـ

فقيه أندلسى من بلنسية · استوطن بجاية وأقرأ بها وأسمع أخذ عنه واستفيد منه · له علم بالقراءات وحظ من العربية · محكم الرواية متقن الدراية ·

ص ٢٤٥

- ٦٦ -

أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمرى الاشبيلى المتوفى سنة ٦٥٩ هـ

فقيه لغوى نحوى مؤرخ راوية حافظ للحديث عارف برجاله ، وهو فى معرفة القراءات امام ، ولى صلاة الفريضة والخطبة بالجامع الأعظم ببجاية ولما اشتهر حاله وعلمه ، ونقل الناقلون ذكاءه وفهمه ، نمى خبره الى المستنصر بالله بالحاضرة الافريقية ، فاستدعاه وقربه ، وقد ظل هناك حتى مات ·

قال الغبرينى عنه : كان يكتب جيدا وينظم نظما حسنا ، ثم أورد له أبياتا جيدة على قافية الغين ·

ص ٢٤٦ ـ ٢٥٩

- ٦٧ -

أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومى ت ٦٥٨ هـ

هذا الشيخ أبو المطرف قد تحمس الغبرينى له تحمسا عظيما ، وكتب

ترجمته وهو فى قمة الانفعال به ، ولعله قد أحس بذلك وظن **اننا** أو غيرنا **يمكن أن نتهمه بالاسراف** أو بالخروج عن **الموضوعية فى الكتابة العلمية** .

فدافع عن نفسه بأمرين :

أولهما : ايراد نصين نثريين من انشائه واعتذر **عن ايراد ثالث بخشية الاطالة** .

وثانيهما ! أنه فى نهاية الترجمة له قد وثقها باسنـــادها الى شيوخ ثلاثة وهو لا يفعل ذلك مع كل أحد .

وهذه مقتطفات مما جاء فى هذه الترجمة قال :

الشيخ الفقيه المجيد المجتهد العالم الجليل الفاضل المتقن المتفنن .

أعلم العلماء وتاج الأدباء ابن عميرة المخزومى من أهل جزيرة شقر سكن بلنسية مدة وكتب عن ولاتها ، فاق الناس بلاغة وأربى على من قبله وتهادته الدول ، وولى القضاء بأريولة وشاطبة من الأندلس وبســـلا ومكناسة من العدوة ، وقسنطينة وقابس من بلاد افريقية وغيرها .

استوطن بجاية مدة طويلة وأقرأ بها ودرس ، له علم بالفقه ، وأصوله وحديث حسن فى معقوله ومنقوله ، وله أدب هو فيه فريد دهره ، وســابق أهل عصره . والناس يتداولون كتبه ويستحسنونه ويؤثرونه على كتب غيره، وبالواجب ـ علم الله ـ أن يكون كذلك لسلوكه حسن منهجه الذى هو فيــه أول سالك .

والذى أوجب تقدم الفقيه أبى المطرف فى كتابته انما هو أن الرجل من أهل بلنسية ومن أهـــل العلم فيها . فكتابته علمية أدبية ، وكتـــابة غيره مقتصرة على نوع الأدب ، وهذا المعنى هو الذى تميز به عمن عـــداه وسبق من سواه .

وكان الطلبة مدة كونه ببجاية يقرأون عليه تنقيحات السهروردى وهى من مغلقات أصول الفقه عند من لم يمارس علم الأصول ، ولا يتعرض لاقرائها الا من له ذهن ثاقب .

رحل الى حاضرة افريقية واتصل بالخليفة المستنصر بالله فاستقضاه تابس ثم استدعاه وجعله من خواص الحاضرين بمجلس حضرته ومن فقهاء ولته · وقد توفى بتونس ·

ص ٢٥٠ ـ ٢٥٣

- ٦٨ -

أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم بن عبد الغنى القرشى
ت ٦٨٠ هـ

فقيه جمع بين الرواية والدراية · له علم بالعربية والأدب ، وله نظم ونثر وكتابه مستحسنة ، ولا عجب ؛ فقد كان فصيح القلم واللسان · دخل بجاية وبقى بها مدة ثم انتقل الى تونس ومنها انتقل الى ثغر ميورقة التى توفى بها ·

ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥

- ٦٩ -

أبو على الحسن بن موسى بن معمر

أديب لسن فصيح فقيه مليح الحكاية بارع الخط حسن النظم والنثر ·

كان صاحب العلامة المستنصرية ، وكان له عند المستنصر حظ ؛ فقد كان يستطرف حديثه ويعجب به ، وكان يوم دخوله عليه وجلوسه عنده يطول الأمر على الواقفين بين يديه فلا يكون عليهم أشد من ذلك اليوم ·

ولى قضاء بجاية فحسنت فيه سيرته واستحسنت طريقته ، وكان محببا للناس مشكورا عندهم ·

لما غضب عليه المستنصر احتال حتى أوصله هذين البيتين له :

وا حسرتى فى مقـــام بين أظهركـــم
قوم رجاؤهم باليـــأس مفضـــوح
صـــدوا وسـدوا عن المضطر بابهـم
وما دروا أن باب الله مفتـــوح

قالوا : فذرفت عينا أمير المؤمنين رضى الله عنه وظهر له وجه البر والرضى وغفر له ٠

يقول الغبرينى ناقدا : والبيت الثانى مليح القصد ، وأما الأول فظاهر فيه وجه النقد ٠

ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦

- ٧٠ -

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أحمد بن أبى بكر القضاعى الشهير بابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨ هـ

أديب لغوى نحوى مؤرخ فقيه محدث نشأ ببلنسية وتخرج على أيدى علمائها ، وصحب أبا الربيع بن سالم بضعا وعشرين سنة ، وهو الذى ندبه الى وضع كتاب التكملة لصلة أبى القاسم بن بشكوال ٠

كتب اليه كثير من علماء المسلمين فى المشرق والمغرب ، ولا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة فى الاسلام الا وله فيه رواية اما بعموم واما بخصوص٠

رحل الى العدوة واستوطن بجاية ودرس بها وأقرأ وروى وأسمع وصنف وألف ، وهو ممن لا ينكر فضله ولا يجهل نبله ، له تآليف حسنة ونزعات فى علم الأدب بارعة ٠

استدعاه أمير المؤمنين المستنصر الى حضرته فلما مثل بين يديه أنشده:

بشراى باشرت الهدى والنورا
فى قصدى المستنصر المنصورا
واذا أمير المؤمنين لقيته
لم ألق الا نصرة وسرورا

فحظى عنده وبلغ عنده مأموله وقصده ٠

يقول الغبرينى : لو لم يكن له من الشعر الا القصيدة التى رفعها لمقام

الأمير أبى زكرياء رحمه الله يستنجـــده ويستصرخه لنصرة الأندلس والتى مطلعهـــا :

أدرك بخيلك خيـــل الله أندلســـا
ان السبيـــل الى منجاتهـــا درســـا

لكان فيها كفاية ٠

ولو لم يكن له الا الكتاب المسمى [اللجين فى مراثى الحسين] لكفـاه فى ارتفاع درجته وسمو رتبته ، فكيف لا ، وله تصانيف وجملة تآليف من شعره رحمه الله ورضى عنه :

ســـاق من روض الأمـانى أرجـــه
ولأمـــر مـا شجـــالى مدرجـــه
خيلت لى أنهـــا تعـــدنى
وخيـالات الفتى تستـــــدرجه
فلذا أكـــذب شىء فجـرها
ولقـــد غر الحجى منبلجـــه
يا شقيق النفس أوصيـــك
وان شق فى الاخلاص ما تنتهجه
لا تبت فى كمـــــد من كبـــد
رب ضيق عاد رحبـــا مخرجه
وبلطف الله أصـــبح واثقـــا
كل كـــرب فعليـــه فرجـــه

توفى رحمه الله بتونس فى العشرين من محرم عام ٦٥٨ هـ ٠
ص ٢٥٧ ـ ٢٦١

- ٧١ -

ابو محمد عبد الله بن علوان

كاتب أديب منشىء فقيه ، جمع بين الكتابتين الأدبية والشرعية ، وكان شيخ كتاب الكتابة الشرعية فى وقته ، له نظم فى الفرائض سلك فيه طريقة الحجازيين والنجديين ، وهو النائب فى صلاة الفريضة بالجامع الأعظم ، وقد أورد له الغبرينى شعرا جزلا فخما سما لفظا ومعنى ٠
ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤

- ٧٢ -

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعافرى

فقيه مقرىء نحوى ، قرأ على أبيه بالقلعة الحمادية ، ثم ارتحل الى بجاية وجلس للتدريس بجامعها الأعظم ، وكل من قرأ عليه وصفه باتقان الرواية وجودة الدراية .

كان لا يتسامح فى اجازة بوجه ، ولا يمكن منها الا بعد التحصيل الطويل ، ومن ظفر من الطلبة باجازته فقد ظفر بالغاية القصوى ، ووصل الى المرتبة العليا .

ص ٢٦٥

***

- ٧٣ -

أبو الحسن على بن مؤمن بن محمد بن على الحضرمى عرف بابن عصفور

نحوى لغوى مؤرخ مفسر منطقى شهير الذكر رفيع القدر ، من أهل اشبيلية قرأ بها على أبى على الشلوبين ، فحصل له ما لم يحصل لغيره .

يقول الغبرينى : وكل من قرأ على أبى على الشلوبين ببلده نجب . وأجلهم عندى رجلان : أبو الحسن هذا ، والأستاذ أبو الحسن بن الربيع وأجل الأستاذين أبو الحسن بن عصفور ، وما أعتقد فى الأسانيد من المتأخرين أجل منه ، فقد جمع رحمه الله بين الحفظ والاتقان والتصور وفصاحة اللسان .

تأليفه فى العربية من أحسن التآليف .

له [المقرب] وهو كتاب بارع ، وله على الايضاح ، وله شرح أبيات الايضاح لم يسبقه أحد بمثله ، وكلامه فى جميع تآليفه سهل منسبك ، والذى قيد عنه أصحابه أكثر من تآليفه .

شرح جزءا من كتاب الله العزيز ، وسلك فيه مسلكا لم يسبق اليه ·

وقال : لو عاننى الوقت وأمدنى الله بالمعونة منه ، وأكمل هذا الشرح على هذا المنزع لكان ذخيرة العالم ·

يقول الغبرينى : هو ممن له القدرة على هذا ، وهو أولى الناس بشرح كتاب الله تعالى ·

ارتحل الى العدوة . واستوطن بجاية ، وكان بها أستاذا للأمير أبى يحيى برد الله ضريحه ، وارتحل الى حضرة تونس فحظى بها عند المستنصر بالله ، وكان أحد خواص مجلسه ·

ص ٢٦٦ - ٢٦٧

***

- ٧٤ -

أبو محمد عبد الحق بن يوسف بن حمامة الغبرينى

نحوى لغوى فقيه ، كتابته تدل على بلاغته وبراعته وطلاقة قلمه وفصاحته ، ولى القضاء ببعض أكوار بجاية ، وكان معروفا بالعفاف وبالاقتصار على الكفاف ·

ص ٢٦٨

- ٧٥ -

أبو الحكم مروان بن عمار بن يحيى

أديب لغوى نحوى فقيه من أهل بجاية ، دخل الأندلس وولى قضاء المرية ·

ص ٢٦٩

- ٧٦ -

أبو محمد عبد المهين عبد الرحمن بن عبد الله بن موسى بن سليمان بن على ابن عبد الملك بن يحيى بن عبد الملك بن الحسن بن محمد بن عميرة بن طريف ابن اشكورته الأزدى

أديب خطيب فقيه محدث راوية من أهل مرسية ومن بيت عريق فى العلم؛ فأبوه وجده مذكوران فى التكملة ·

سكن بجاية وروى عنه بها ، وولى صلاة الفريضة بجامعها الأعظم . كان لا يعد خطبه بل يرتجلها ، وقد أجاز له كثيرون ·

قدم الى حاضرة افريقية بعد الأربعين وستمائة ، وبعد ذلك استأذن فى الحج فأذن له ، وحج سنة ٦٥٦ هـ ثم عاد ، ولم يزل مأخوذا عنه الى أن توفى بتونس ظهر يوم الأحد السادس والعشرين لجمادى الأخيرة عام أحد وستين وستمائة هجرية ·

ص ٢٧٠ ـ ٢٧١

- ٧٧ -

أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمى القرطبى
ت ٦٣٦ هـ

أديب كاتب شاعر فقيه شرح مقامات الحريرى وكتب على خطبتها نحوا من خمسة عشر كراسا بالقالب الكبير ·

كان ببجاية فى مدة السيد بن عمران من بنى عبد المؤمن ·

وقد خمس [المنفرجة]لابن النحوى على الوجه الآتى :

لا بد لضيق من فرج ـ والصبر مطية كل شج ـ وبدعوة أحمد فابتهج

اشتـــدى أزمة تنفرجى قد آذن ليلـــك بالبلج
يا نفسى رويدك لا حـــرج وثقى بالله عسى فـــرج
وكـــذا ما ضـــاق له فـــرج
وظلام الليل له سرج حتى يغشـــاه أبو السرج

وبعد أن أورد الغبرينى التخميس كاملا علق عليه بقوله :

وهذا التخميس قد ظهر من أمره ومن العناية بمنشئـــه ما دل على خلوص نيته وصلاح طويته وأنا أرويه مع وصيته عن الشيخين :

أبى عبد الله بن رحيمة البانى ، وأبى العباس بن خضر الصدفى رحمهما الله ، ثم ذكر الوصية ·

ص ٢٧١ ـ ٢٧٩

- ٧٨ -

أبو على حسن بن الفكون القسنطينى

الأديب البارع والفقيه الكاتب أبو على حسن بن الفكون من الأدباء الذين تستطرف أخبارهم وتروق أشعارهم غزير النظم والنثر . وكأنهما أنوار الزهر ٠

رحل الى مراكش وامتدح خليفة بنى عبد المؤمن ، ومن وحى هذه الرحلة قصيدته اليائية المشهورة ٠

كان الأدب له من باب الزينة والكمال ، فلم يكن يحترف به لاقامة أود أو اصلاح حال ٠

أصله من قسنطينة من ذوى بيوتاتها ومن كريم أرومتها ٠
تراشيحه جيدة وشعره ممتاز ٠

وقد أورد له الغبرينى ثلاثة نماذج من ثلاث قصائد ، ونجتزىء هنا بهذه الأبيات من النموذج الثانى وهو فى وصف قصر الربيع الموحدى ببجاية لما كان فى زيارته ضيفا على صاحبه مع جماعة قال :

عشونا الى نار الربيع وانما
عشونا الى نار الندى والمحلق
ركبنا بواديه جياد زوارق
نزلنا اليها عن ضوامر سبق
وخضنا حشاه والأصيل كأنه
بصفحته تبر جرى فوق زئبق

ص ٢٨٠ ـ ٢٨٦

- ٧٩ -

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الادريسى المعروف بالجزائرى

شيخ كتبة الديوان ببجاية ، له شعر كثير فى كل فن . وشعره حسن سهل يكثر فيه التجنيس الذى يأتى عفوا من غير تكلف ٠

ان أطال العرب ، وان اقتصد أعجب ، مليح التواشيح ، أوردله الغبرينى خمسين بيتا موزعة على الابتهال الى الله تعالى وعلى المدح والغزل قال :

يا من على جـــوده المعهود أتكل
ويا ملاذى اذا ضاقت بى الحيـل
غرقت فى بحر آثامى فخذ بيدى
وامنن بعفو فانى خائف وجـــل

ص ٢٨٧ ـ ٢٩٤

- ٨٠ -

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الدلسى

غلب عليه الأدب شعرا ونثرا ، فقد أجادهما وبرع فيهما ، كما برع فى الطب والفقه والتاريخ ، « وما كان يجب أن ينسب الا أنه من الفقهاء لا من الأدباء » .

أصله من تدلس وهى دلس التى تبعد عن مدينة الجزائر بنيف ومائة كيلو متر .

ولما ولى القضاء ببعض كور بجاية سكنها وصار من أدبائها وعلمائها . وقد أورد الغبرينى كثيرا من شعره .

ص ٢٩٤ ـ ٣٠٠

- ٨١ -

أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهرى اللبلى الاندلسى

لغوى نحوى مؤرخ فقيه ، تعلم بالأندلس على مشايخ كثيرين منهـــم أبو على الشلوبين ، ثم ارتحل الى العدوة فسكن بجاية وأقرأ بها ، ولما حج لم يستفد من المشرق علما لأنه ما حج الا بعد الأستاذية .

وبعد الحج اتخذ تونس وطنا له عاش فيه ومات به .

من كتبه :

١ ـ على الجمل .
٢ ـ شرح الفصيح لثعلب .
٣ ـ الاعلام بحدود قواعد الكلام .

ص ٣٠٠ ـ ٣٠١

- ٨٢ -

أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي

فقيه حافظ مؤرخ مدرس مفسر محدث راوية يقول الغبريني :

« سمعت عنه أنه يحفظ تاريخ الطبرى ، وذكر لى بعض أصحابنا أنه يحفظ تفسير الثعلبى ، واذا حفظ هذين الكتابين استتبع حفظهما كثيرا من غيرهما ·

سمعه وهو يدرس فى الجامع الاعظم ببجاية فدل كلامه على حفظه واتقانه ·

له تآليف وتصانيف منها على كتاب الله تعالى طالعت بعضها » ·

وكان له اعتناء بأهل زمانه · شرع فى تأليف كتاب يذكر فيه المصنفين من أهل عصره فى المغرب والمشرق ، وراسل من رأى أن يترجم لهم ليخبروه بما صنفوه وهذا هو السبب فى أنه كان أعلم الناس بالكتب المصنفة وأحفظهم لأسمائها ·

ص ٣٠١ ـ ٣٠٢

- ٨٣ -

أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الجنان

كاتب بارع وشاعر رائع وفقيه جليل وخطيب كبير من أهل الرواية والدراية وجودة الخط وحسن الضبط ، نثره ونظمه كله حسن ، وأى نوع انتقلت اليه من فرعى أدبه قلت : انه أحسن . نظمه ، غزير وأدبه كثير ·

من داليته المشهورة هذه الأبيات :

يا حادى الركب قف بالله يا حادى
وارحم صبابة ذى نأى وابعاد
ما ينبغى عنك الا أن تصيخ له
سمعا ليسأل عمن حل بالوادى

فهل لديك عن الأحبـــاب من خبر
وهل نزلت بذاك الربــع والنـــادى ؟
بالله ان كنت قـــد خيمت عنـــدهـم
بالمنحنى بين أنجـــاد وأجـــواد
هات الحديث عن المغنى وساكنـه
وارفع الى سنة العليـــاء اسنادى
بين الجوانح نار للجـــوى وقدت
فان فدرت فأخمـــد بعض اخمـاد
هيهات تستطيع اخمادا وذكراهـم
يزيد نار ضـــلوعى نار ايقـــاد
ص ٣٠٢ - ٣٠٦

***

بهذا ينتهى الكتاب تقريبا ·

وانما قلنا تقريبا لأن الكتاب لم ينته تماما ·

ذلك أن الغبرينى بعد أن أعقب علماء القرن السادس الهجرى وعلى وجه التحديد نهاية هذا القرن ·

أقول : بعد أن أعقب أبا مدين ومن معـه بمشيخته هو أى بأساتذته الذين قرأ عليهم ، وثلث بعلماء القرن السابع ·

رأى أن يختم الكتاب ببرنامج مشيخته ، وهو يقصد ببرنامج مشيخته توزيع العلوم التى درسها على شيوخه ·

وبلغة العصر الحديث جدول حصصه ، أو جدول محاضراته على حسب المراحل التعليمية التى تدرج فيها ·

وقد قسم هذه العلوم الى قسمين :

علوم دراية

وعلوم رواية

ورأى أن علوم الدراية هى : علم الفقه وعلم الأصلين : أصول الدين وأصول الفقه وعلم العربية وعلم المنطق وعلم التصوف ·

أما علوم الرواية فالمقصود المهم منها انما هو علوم تفسير القـرآن الكريم !! وعلوم الحديث

ويعود فيذكر علم الفقه وعلم العربية وعلوم التصوف والتذكير وهـذا يعنى أن لهـذه العلوم المكررة أو المشتركة بين الدراية والرواية جانبين : جانبا عقليا وجانبا نقليا ٠

ومهما يكن فهو قد قرن كل علم من علوم الدراية أو من علوم الرواية بالشيوخ الذين درسوا له هذا العلم أو ذاك ، ناظرا فى ذلك الى تخصص كل شيخ أو كل طائفة من الشيوخ ، اذ كان قد اشترك فى تخريجه فيه أكثر من شيخ ٠

***

ومما يلفت النظر أنه يؤكد جانب السنـد فى علوم الرواية وينتهى بسندها الى مصادرها الأولى كمالك والشافعى والبخارى ومسلم والليث ابن سعد والطرشوشى والجزولى وسحنون ، وسيبويه وأبى على الفـارسى والزمخشرى وابن قتيبة وأبى تمام والحريرى ٠٠٠٠٠ وهنا نتساءل :

ألم يكن وصول كتب العلماء السابقين الى الغبرينى كافيا لنا ومغنيا له عن هذا السند الدقيق والوثيق ، والذى هو فى نفس الوقت شاق ومجهد:!

طبعا كان ذلك كافيا وشافيا ٠

لكنها الدقة العلمية من الغبرينى ، أو لكنه الالتفات الشديد الى جوانيته العلمية :

يبرزها ويفرزها ويصنفها ليوزعها على أصحابها الذين أعطوها له أو أخذها هو منهم ٠

ربما ليقول لنا :

اننى ان كنت أصبت فبما نصبت واجتهدت ٠
وان كنت أخطأت ، فالعهدة على الكتاب الذى عنه نقلت أو على الشيخ الذى منه أخذت ٠

ربما ٠

وقد تكون الأمانة العلمية والاعتراف بالفضـــل لذويه هو الذى جعله يجهد نفسه ويجهدنا معه ٠ غفر الله له ورحمه ٠

***

بقيت كلمة عن أسلوب عنوان الدراية :

وواضح انه أسلوب سهل وساطع ٠

فالغبرينى لا يتقعر ولا يتوعر ، وانما يطلق نفسه على سجيتهـــا : تسقط الكلمات بخفة على أفكارها ، أو تجذب الافكار كسوتها اللغوية اليها جذبا رقيقا لطيفا ممتعا ٠

انه يكاد يكون مثالا لما نسميه اليوم بالأسلوب العلمى المتأدب وهذا الأسلوب يستخدم فى مجالين اثنين هما :

الدراسات الانسانية ٠

وتيسير العلم ٠

وفى الحق أن عنوان الدراية موزع على هاتين الناحيتين :
فالكلام عن العلماء دراسات انسانية ٠

والكلام عن علمهم تيسير لهذا العلم بخلخلته من مصطلحاته العلمية ، وجعله مفهوما للقارىء غير المتخصص ٠

***

أما منهجـــه :

فهو المنهج القائم على وحدة الترجمة ٠
لا أبواب ولا فصول ٠
وانما تراجم متتابعة وأكاد أقول متشابهة ٠

يبدأ الترجمة باجمال مداركها من فقه أو لغة أو نحو أو تفسير أو حديث أو أصول أو تصوف أو والاية أو خطابة أو قضاء أو أدب ٠

يعطى لمترجمه من ذلك ما نبغ فيه واشتهر بين الناس به ثم كرامات أو تآليف أو مشيخة وسند ٠

واذا غلبت على من يكتب عنه ناحية انشائية مثل لها تمثيلا يتردد بين الطول والقصر ٠

وهو فى الأعم الاغلب يصحبه من ولادته الى وفاته ، ولربما أرخ لهذه الوفاة وحدد مكانا ٠

وبعـــد :

فقد أنهى الغبرينى كتابه فى صفحة ٣٢٣ داعيا للمؤلف والكـــاتب والقارىء والراوى بالنفع ، وبجعل مقصدهم من أفضل المقاصـــد وأحسن المساعى ٠

وأطمح ـ وقد عايشت الكتاب وعرضته وحللته ـ أن أكون داخلا فى هذا الدعاء من بابين :

باب القراءة ٠

وباب الرواية ٠

فأنا بهذه الدراسة لكتابه قد قرأته ورويته ٠

وأشهد : لقد كان قصدى فيما قمت به نحو كتابه من أفضل المقاصـد وأحسن المساعى ٠

ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ٠

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ٠

فسنطينة فى
١٩٧٨/٥/١٢